بإسم البشر، بإسم الحب .

اعتـــراف فتـــاة .

طلب يوما فى كراسنودار (1) من تلاميذ القسم النهائى فى المدرسة رقم 36 ، ان يجيبوا عن مجموعة من الاسئلة ، ولم يطلب منهـم ذكـر اسمائهم ، لان ذلك سيضمن الصراحة الكلية . وقد كانت الاجوبة عـن هذه الاسئلة مهمة جدا . ونحن ننشر واحدة منها مع أجوبتهـا ، واثقين بأنها تعطى خلاصة عن المستوى الثقافى والروحى لهذه الفتاة ، التـى لا نعرف للاسف اسمها .

1 ــ مـــن هـــو كاتبك المفضـــل ؟

ــ ليس لى كاتب مفضل ، لا ادرى . واعل هذا راجع الى خواص مزاجى ، لكن يظهر لى بكل بساطة ، ان الاعجاب بعمل كاتب وحيـد ، واعتباره هو الافضل مستحيل . هناك كثير من الكتب الجيدة ، وبالتالى كثير من الكتاب الجيدين ، وكل واحد منهم يحركنا بطريقته ، وكل منهم كما يقال « يمس وترا مختلفا من الروح » .

فى طفولتى أعجبت بالمؤلفات الرومانسية ، التى ليست من نـوع « كرامازين » بالتأكيد ، وانما من نوع الكسندر جرين . وقد كتبت ايضا ابياتا شعرية مستوحاة منه ، عن « الاشرعة القرمزية » (2) ، وعـن « الاقاصى الداكنة » . واحب دائما « جرين » ، لكننى لا اكتب شعرا . وعلى العموم ، أحب كثيرا الكلاسيكيين الروس ، وعلى الخصوص ليون تولستوى ، ومن ضمنهم جوركى . وأحب ايضا تشينجيز آيتماتوف . وايضا احب مؤلفات الخيال العلمى حينما تكون جيدة ونكية ، ككتب الاخوة ستروجاتسكى (3) ، ورأى برادبارى على سبيل المثال ،

2 ــ مـــا هـــى مـــؤلفـــاتك المفضلـــة ؟

ــ نوع الجواب نفسه كما فعلت بخصوص السؤال الاول . للاسف، ليس عندى كتاب مفضل استطيع قراءته واعادة قراءته . لكننـى قرأت ــ بالتأكيد ــ بلذة « الحرب والسلام » لتولستـوى ، وثلاثيـة يورى جيرمان ، والاقاصيص المكتوبة من طرف جوركى فى شبابه ، والتى هى

فى الواقع جميلة ومذهلة جدا ، وواقعية جدا ، والياذة هو ميروس ، وعدة أشياء أخرى بدون شك . ويحدث احيانا أن أقـرأ كتبا كثـيرة فى نفس الوقت ، مختارة ما يتلاءم أحسن مع حالتى النفسية فى تلك اللحظة .

3 ــ مــن هــو شاعــرك المفضــل ؟

ــ وهذا أيضا ، ليس لى شاعر مفضل على الخصوص . كنت احب سيفيريانين كثيرا واستظهر قصائده أيضا ، لكنها تظهر لى اليوم مضحكة جدا . كنت احب ليرمونتوف ، وحفظت مقاطع كاملة لشكسبير ، هنـاك حيث اكبر قدر ممكن من الاشياء غير المفهومـة ، وحيث ، لست ادرى اين ، من « يشرب الخل » و « ويأكل التماسيح » . واليوم ، احب بعض القصائد لفوز نسنسكى ، وروجديستفينسكى ، وشعراء آخرين ايضا ، وسأظل احب دائما ليرمونتوف وبوشكين ايضا .

4 ــ مــا هــى قصيدتك المفضلـة ؟

ــ « هناك الكثير فى العالم يا صديقى هوراس ... » لكن وا أسفاه، لم اجد لحد الان القصيدة المفضلة بين الكل .

5 ــ مــن هــو عالمك المفضــل ؟

ــ لا افهم كثيرا هذا السؤال . فاذا نظرنا الى العلماء عموما ، نجد أن هناك أسماء عظيمة لروسيين وأجانب . لنشر فقط الى لومونوسوف، وماندليليف ، وبوتليروف ، وآينشتين ، والزوجين كورى ، وفافيلوف ، وكورتشاتوف . وليس لى انا ان اختار من بينهم جميع من يستحق لقب أحسن عالم . فهؤلاء جميعا ، وعلماء آخرون كثيرون قامـوا بالكثـير ، واسماؤهم غير منسية أبدا .

لكن ، اذا سئلت عن العالم الاكثر قربا منى ، فلن أستطيع الاجابة عن هذا السؤال . ولكى اقول الحق ، فانى لم اقرأ مؤلفا علميا مهما أبدا. ولعل هذا راجع الى كونى محدودة الاطلاع ، لكن ، لم يكن لى فى الحقيقة مطلقا الوقت لدراسة أعمال آنيشتين على سبيل المثال ، ويمكن ان أسد هذه الثغرة فى المستقبل .

ويظهر لى انه لكى نكون فكرة محددة عن عالم ما واعماله ، يجب ان نكون فى مستوى القضية ، واليوم ، بناء على التطور الحالى للعلم ، وتخصصه العميق ، يجب اكتساب مهنة محددة ، تستطيع أن تساعد فى تكوين فكرة عن الاعمال العلمية الخاصة بهذا الميدان من العلم ، وفى معرفة جوانب ضعفه وقوته .

6 ــ مــا هــو كتــابك العلمــى المفضــل ؟

ــ سبق لى ان اجبت عن هذا السؤال فى النقطة الخامسة .

7 ــ مــن هــو بطلك المفضــل ؟

ــ في التاريخ

اذا كان هذا السؤال يعنى رجال التاريخ ، واذا كان يجب أن أبدى رأيى فيمن هو احق بالتقليد ، فى الشخص الذى بقوة ارادته وعبقريته كان لـه التأثير المشهود فى تطور المجتمع ، والذى بواسطة عبقريته كان موضوعا فى مقدمة عصره ، حاملا النور الى أهل الارض ، فانه بلاريب فلاديميـر

ايليتش لينين . ولا ارى فى التاريخ شخصا خار أحق بالتقليد واخذه مثلا سواه
فى الادب ؟
ليست عندى شخصية أدبية اثرت فى الى درجة أن تكون لى الرغبة فى تقليدها فى كل شىء ، وقياس أعمالى على هيئتها ، لانه يظهر لى بكل بساطة ، ان من المستحيل ان نحمل شخصية ما معنا ، كما نحمل يومية مثلا ، ونقارن انفسنا بها . لكن هناك فى الحياة لحظات نكون فيها فى حاجة الى التفكير الجدى فى شىء ما . فى هذه الحالة يأتى كورتشاجين (4) وفلاديمير أوستيمونكو (5) الى مساعدتى ، ويعطياننى نصائح مفيدة .
فى الحياة المعاصرة ؟
أعتقد أن بطلا ما يجب ان يكون بطلا حقيقيا ، وشجاعا وشريفا وعادلا وعاقلا ، ويكون رجلا حقيقيا . وان كان من اللازم تقليد احد ما ، وتنصيبه بطلا ،فلن يمكن الا مع رجل مثالى لا يخدعنا ابدا ، ويبقى فى مستواه دائما . وهناك اخيار كثيرون ، لكن ينقصهم شىء ما دائما . وبالنسبة للرجل المثالى ، فانى لم أقابله ابدا .

8 ــ من هى بطلتك المفضلة ؟

ــ فى التاريخ ؟ جان دارك ، صوفيا كوفاليفسكايا ، مارى كورى ، ناديجداكروبسكايا ، زويا كوسموديميا نسكايا .
ــ فى الادب ؟ ليس عندى بطلة مفضلة .
ــ فى الحقبة المعاصرة ؟ لم اقابل ابدا المرأة المثالية .

9 ــ ما هو شعارك المفضل ؟

ــ يظهر لى ان الشعارات تخلق فقط من اجل الاستجوابات والتحقيقات . فأنا على سبيل المثال ، لم اضع ابدا على نفسى سؤالا عن الشعار الذى يجب على ان اختاره لاتبعه . وصديقاتى لم يحدثننى ابدا عن شعاراتهن . ويظهر لى أن الحياة تبنى على اعتقادات ومبادىء محددة، وبعد هذه الحياة ، وانطلاقا منها ، نستطيع أن نجد شعارا ، أى تعبيرا يصوغ فى بضع كلمات ، عمق هذه الحياة نفسه .
هناك عدة شعارات جميلة ، لكن يصعب الاهتداء الى الشعار الرئيسى ، ذلك الذى يعبر عن الكل دفعة واحدة .

10 ــ ما هى الصفة الانسانية التى تقدرينها اكثر ؟

ــ انها حتما الحب الفعال للبشر ، وللانسانية المكافحة ، لا الحب المسيحى الجشع ، وانما الحب الارضى الانسانى ، الذى يمقت الشر ، ويندمج بفعالية فى الحياة ، باسم البشر ، وباسم الحب الذى تمنحهم اياه.

11 ــ ما هو هدف الحياة ، وما معناها ؟

ــ هناك كثير من الفلاسفة الذين عانوا كثيرا للاجابة عن هذا السؤال . لكن ما يجهله الشيوخ الشائبون أعمارا والاغنياء تجربة ، لا يلحق أى شر بالشباب النزق . وحتما ، فانى لن اجيب بهذه السهولة ابدا عن هذا السؤال بعد عشرين أو ثلاثين عاما . لكنى اليوم اقول : معنى

الحياة فى السعادة ، وهدفها فى تحقيق السعادة . « خلق الانسان للسعادة، كما خلق الطائر للطيران . » والسعادة دائما امامنا ، وفى أحلامنا التى نحقق ، وان اللحظة التى يصبح فيها الحلم واقعا ، ويصبح حقا من صنع أيدينا ، تظهر لنا لحظة سعادة كاملة . لكن الجوهرى ، هو اننا نضيع السعادة اذا توقفنا دقيقة واحدة . فالسعادة هى العمل للوصول الى هدف وهذا التوق الى السعادة هو علة حركتنا الى الامام . اننا نطير نحو النجوم ، ونذهب الى القطب الشمالى ، ونقفز الى أعماق البحار ، ونبحث عن الاطانتيد . نحن طاقم مركب يندفع بكل اشرعته الخارجية نحو السعادة.

12 ــ ما الذى تفضلين ان تحصلى عليه اكثر فى الحياة ؟

ــ اريد ان اجمع اكبر قدر ممكن من المعارف . ان العالم حولى شاسع ، وهو مهم جدا ، وانا أريد ان اعرف منه على الاقل شيئا قليلا . اريد أن اقرأ جميع الكتب المهمة « الذكية » ، واعرف عدة لغات لاقرأ النصوص فى اصولها لا فى ترجماتها ، حتى يمكن لى ان ادخل بسهولة فى اتصال مباشر مع اشخاص آخرين . أريد ايضا ان تكون لى موهبة فى المهنة التى سأختارها . لو كانت لى موهبة مغنية ، ولو كان لى صوت جميل ، فسأغنى بطريقة تجعل البشر فى غير حاجة ، فى هذه اللحظة بالذات الى اى شىء ، باستثناء أغنيتى ، ولا تترك هناك شيئا أجمل لهم منها .

لو كنت أملك موهبة شاعر ، فاننى احب ان اكتب قصائد بطريقة تجعل البشر يشعرون مباشرة ، بأن لهم هنا كل ما هو مهم .

كل شىء نصنعه يحتاج الى الموهبة ، ويجب أن نهب انفسنا كلية لكل ما نقوم به ، وهكذا تصبح الحياة جميلة جدا .

وتحقيق كل هذه الامانى لا يتعلق الا بى ، واعتقد اننى سأحصل على كل ما أتحدث عنه هنا .

13 ــ ماذا تريدين أن تصبحى ؟

ــ اذا كان السؤال يتعلق بالمهنة ، فاننى أريد ان اكون عالمة احياء، وعلى سبيل الدقة ، عالمة أحياء تدرس حياة الخلية ، عالمة خلايا أو عالمة فى الكيمياء الحيوية .

ان الحياة هى المعجزة الكبرى ، لكننا ماديون . وهذه الحياة (.. ، ..) ركبت من المادة وجزئياتها ، لكن انسجامها على وجه الخصوص يجسم المعجزة . أريد ان اعرف كل هذا ، واكتشف الاسباب والاسباب الاولى . ولهذا يجب معرفة عدة أشياء ، وتعلم عدة اشياء . والجوهرى هو ان من اللازم ان ما تريد فعله سيكون مهما ومفيدا لك .

14 ــ ماذا تريدين أن تصبحى فى الغد القريب ؟

ــ فى الغد القريب أريد ان أتقدم الى مباراة جامعة موسكو . اذا لم انجح فسأشتغل وسأتهيأ لامتحانات السنة المقبلة ، واذا دخلت الى

الجامعة ، فسأصبح طالبة فى كلية علم الاحياء . سأصبح على وجه الدقة اذن ، ما اريد أن أكون .

15 — مـا هـى مـادتك المفضلـة ؟

هى علم الاحياء على العمـوم ، لكننـى أحب ايضا الرياضيـات والانجليزية . وفى هذه الاحيان لا اكتفى بما نتعلمه فى المدرسـة دائما . واحب أن أقرأ مؤلفات أخرى فى علم الاحيـاء غير الكتب المقـررة . وان دروس علم الاحياء مملة احيانا ، وكذلك الانجليزية . وانا اتعلم الانجليزية على الخصوص وحدى ، بعيدا عن البرامج والكتب المقـررة . واثنـاء الدروس نقرأ مؤلفات ونصوصا معينة فى المقرر ونرويها . وفى المنـزل استطيع أن افعل شيئا آخر ، فانا اقرأ المؤلفات التى تهمنى بالانجليزية.

16 مـا هـو اهتمـامك المفضـل ؟

— هـو المطـالعـة .

17 — مـا هـو لهـوك المفضـل ؟

— هو السينما ، اذا أمكننا ان نسمى هذا لهوا . وتوجد هنـاك فى الواقع افلام لاهية ، وهناك افلام جدية وذكية تكون الـزم لنـا ايضا مـن كتـاب .

من غير هذا ليس لى اى لهو ، فليس لى وقت مطلقا ، ولا ميـل عنـدى لهـذا .

18 — مـا هـو موضوع محادثتك المفضـل ؟

— انه معنى الحياة . وبكل بساطة ، فاننا نريد فى بعض الاحيـان ان نفلسف ونحل قليلا اباطيل هذا العالم .

نتحدث لنعرف ما اذا كان من الممكن الحصول على ذاكرة عجيبة، واذا كان المخ الانسانى قادرا على جمع كل شىء ، وهل هنـاك حدود للمعرفة ، ومن اين يأتى اصحاب اليوجا ، وكيف يستطيعون المشى على المعدن المتلهب ويفعلون اشياء اخرى مماثلة (كل واحد منا يقدم فرضا) ونهيىء خططا لدراسة لغة اجنبية فى خمسة ايام آخذين فكرتنا من مجلـة لتبسيط العلوم ، ونتسـاءل عما اذا كانت البابا — ياجا (ساحرة فى خرافات روسية) سكنت كوكبا آخر (هذه الفكرة ايضا انتقا بعد قراءة مجلة). واحيانا نناقش افكارنا الشخصية ، المبتكرة جدا ، وننجز مشاريع لمختلف الالات « السحرية » (حديثا جدا ، درسنا مشروع آلة تكتب مباشرة كل كلمة منطوقة . وفى هذه الاثناء لم نذهب الى حد تركيب هذا النوع مـن الالة ، فقد فكرنا وقررنا اولا الا نتعرض لخطر انفجار غير متوقع ، وعلمنا ثانيا ان هذا النوع من الالات كان قد ركـب سابقا من طـرف آخريـن قبلنـا بكثيـر) .

وهناك مواضيع اخرى لمحادثاتنا مثل : المستقبل ، كيف سيصبح

البشر بعد مائة سنة؟ بعد الف سنة ؟ كيف ستصبح الارض ؟هل ستنطفىء الشمس بعد بضعة بلايين من السنين ؟ هل ستقع الحرب الذريـــة ؟ الا يمنعها البشر ؟ هل يوجد حقا اناس يؤججون الحروب عن وعى ؟ ان كان نعم ، فلماذا ؟ الربح المال ؟ لكنهم يملكـــون منه الكثيـــر ؟ لماذا يريدون أن يحصلوا على ما هو اكثر من ذلك ؟ ماذا سيفعلون به ؟ انهم لا يأكلون المال على كل تقدير ، هل سيصنعون ثيابهم من الدولارات ؟

نتحدث عن نفسية رأسمالى ، ولا نصل الى ادراك كنهها .

وهكذا ، فهناك مواضيع كثيرة ، قد تصل الى حدود اللانهاية .

19 — مـــا رايك فى الحب ؟

— فى كل المؤلفات الادبية التى قرأت ، لا اتذكر واحدا لم يكن الحب من موضوعاته الرئيسية ، ان لم يكن هو الموضوع الرئيسى . ولا اتذكر فيلما واحدا لا يتحدث فيه عن الحب . واننى احب هذه الكتب وهذه الافلام.

لكننى فى الحقيقة ، لا استطيع ان اتحدث عن وجهة نظرى فى الحب، لاننى لم اجربه بعد . انه يمكن ان يوجد ، ويمكن الا يوجد . احيـــانا اقول لنفسى انه لا يوجد ، والا ، فمن اين يأتى ؟ ان يختفى لحد الان ؟

20 — مـــا رايك فى الـــزواج ؟

— دائما تأتى اللحظة التى يريد كل واحد فيها ان ينشىء اسرة . واننا لا نستطيع على كل حال ان نعيش بمفردنا دائما . ونحن نعيش بالتأكيـــد فى مجتمع ، لكننا فى حاجة الى اشخاص قريبين منا يشاركوننا بفعاليـــة فى كل ما نقوم به .

واعتقد انه يجب ان يوجد حد اعلى من الجدية حينما نتحدث عـــن الزواج . لان الشخص الذى اخترته يجب ان تعيش معه كل حيـــاتك ، وتقاسمه افراحه واحزانه ، وانه قرار خطير ، فيجب اعتبـــار مصالـــح الشخص الآخر ، ومزاجه ، لكى لا يحصل ما يدعو الى التحسر على مـــا وقع . وعشق النظرة الاولى موجود ، الا انه يجب ألا يحدث فى الزواج ، بل فى اسبوع أو شهر بعد التعارف .

21 — مـــا رايك فى العلاقات بين الاباء والابناء ؟

— لا يرى الاباء فى ابنائهم الا اطفالا صغارا . امـــا الابنـــاء فيرون انفسهم راشدين ، (انا اعرف هذا من تجربتى الشخصية) ويظهر لى ان هؤلاء مثل اولئك مصيبون ومخطئون . اما الازمة بين الاباء والابناء كما فى رواية تورجنييف « آباء وابناء » على سبيل المثال ، فغير موجودة عندنـــا ولا يمكن ان توجد . وفى بعض الاحيان ، لا يحب الاباء الاغانى فى الحديثة والرقصات التى يرقصها ابناؤهم ، وطريقة حلاقتهم . لكن الموسيقـــى والثياب ليستا الا الهيكل الذى يشير الى اننا نعيش فى النصف الثانى مـــن القرن العشرين ، وهذه علاماته الخارجية . والاباء سعداء برؤية ابنائهم

يعرفون عدة اشياء ، وهم يغفرون لهم ولعهم بالاشياء العصرية التى يعتبرونها ضعفا .

22 — ما رأيك فى العلاقات بين الابناء والاباء ؟

— ان الابناء ملزمون بأن يغفروا لابائهم عدة نقط ضعف ، مثل اعتبارهم اياهم اطفالا .

وبعض الابناء يسمون آباءهم « شيوخا » وان هذا لمبتذل واخرق ، وقد تعلموا هذا من عدة افلام رديئة . لكن مثل هؤلاء الابناء قليلون ، فانا على سبيل المثال لم التق ابدا بأى واحد منهم ، لكننى سمعت من يتحدث عنهم .

23 — ما رأيك فى المدرسة ؟

— يجب ان أعانى مبدئيا من شعور مغرق فى العاطفية بالضياع الذى لا يعوض ، لاننى سأخرج من المدرسة . لكننى اريد ان اخرج من المدرسة باقصى ما يمكن من السرعة لابدأ حياة مستقلة .

24 — هل الخلود ضرورى ؟

— هذا يتعلق بنوعه . فاذا افترضنا امكانية خلود جسدى ، مع حلول فى « هيأة » اخرى ، فان الخلود فى هذه الحالة غير مجد بالتاكيد. ومن جهة اخرى ، ان كان خلود ، فلن يكون موت ، وبالتالى لن تكون هناك حياة ، وهذا شكل غير مفهوم لوجود المادة . لا تظنوا اننى لا رغبة لى فى الحياة ، فهذا سيكون جيدا لو لم يكن هناك موت ، لكن الاشياء صنعت هكذا . واذا كانت الحياة ابدية ، فلن نتمكن من التوق الى اى شىء ، ولن يكون هناك تقدم ، ولن يكون هناك اى شىء .

اما بالنسبة لخلود الروح ، فالذكرى التى لنا من الراحلين ضرورية، والا فما جدوى الحياة ؟ وفى يوم ما ، سنضع على انفسنا هذا السؤال مع الشاعر مارتنيوف :

ما الاثر الذى ستترك ؟
أأثر على بلاط نمحوه .
شاخصين اليك بعين خبيثة ؟
أم هذا الاثر غير المرئى ، القوى .
الذى تتركه فى الارواح لسنوات عديدة ؟

25 — هل يجب الاهتمام بالسياسة ؟

— هناك فيلم اسمه « ربانية بالمنامة » وهو فيام وثائقى ، خصص لطيارين امريكيين كانت طائراتهم قد اسقطت فى التراب الفيتنامى ، واصبحوا اسرى .

وقد اراد مؤلفو الفيلم أن يبرزوا نفسية هؤلاء الطيارين ويظهر لى انهم نجحوا فى ذلك . سئل بعض الامريكيين : هل تهتمون بالسياسة ؟

فأجابوا بلا ، فلا يعنيهم من يحاربونه ، ولا باسم ماذا ، ولا لماذا يقتلون الناس ، فالسياسة لم تشغلهم ابدا ، لكنهم كانوا مرغمين على ان يصبحوا أداة السياسة فى بلدهم .

وانا لا ادرى ان كذبوا ، او كانت مشاكل السياسة هـذه حقا لا تهمهم بعمق . وفى حقيقتنا هذه ، يجب على كل منا أن يهتم بالسياسة ، فقد اصبحت مشكلة شخصية لكل واحد منا ، اذا نحن لم نرد حربا جديدة.

ترجمة : محمد العلمى

هـــوامش

مترجمة عـــن ŒUVRES, ET OPINIONS ، العـــدد رقـــم 146 (فبراير 1971) ، ص 156 — 163 .

(1) كراسنودار : مدينة فى الاتحاد السوفياتى (القوقاز) م. م. ع .

(2) الاشعرية القرمزية : رواية الالكسندرجرين . م. م. ف .

(3) انظر : « الاثنين يبدأ السبت » للاخوة ستروجاتسكى فى «اعمال وآراء » العدد 113 سنة 1968 .

(4) بافيل كورتشاجين : بطل رواية « والفـــولاذ أصبـــح مسقيا » لنيقولاى أوستروفسكى . م. م. ف .

(5) فلاديمير أوستيمونكو : بطل ثلاثية « القضية التـــى تخدم » ليورى جيرمان . م. م. ف .